نُقْطَةُ التَّحَوُّلْ

«عنايتك بالقرآن بداية حياة جديدة»

تأليف

عبد الرحمن بن محمد العسيري

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

محفوظة
جميع الحقوق

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى التي قالت لي ذات ليلة:

(لو انشغل المحزون بالقرآن لذهب عنه ما يجد)

إلى أمي الغالية.

مدخل

لطالما أبهرني الحديث عن أثر القرآن في حياة الإنسان، بدءًا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد وصف الله حاله قبل القرآن فقال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

وقال أيضًا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

ثم وصف حاله بعد القرآن فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ [البينة: ٢].

وكأن هذا الوصف خاصيةٌ تفرد بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا شك أن القرآن كان له الأثر البالغ في حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحياته، فقد كان يُدارسه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فيزداد نشاطه في الخير، ودعوة الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة.

وانظر إلى حال الصحابة بعد نزول القرآن عليهم، كيف تغيرت أخلاقهم وأفعالهم، وبدلا من أن يكونوا أعداء لله أصبحوا يُرخصون أرواحهم له.

ويبهرني كذلك قصص المشركين الذين تأثروا بسماع القرآن، ويقينهم أنه ليس بكلام الإنس، ولا من كلام الجن، وليس بالشعر ولا بالكهانة، إنما هو من عند الله العلي العظيم.

ثم تأمل في حال المسلم مع القرآن، حيث تلاحظ أن حياته قبل القرآن شيء، وبعد الإقبال عليه شيءٌ آخر، من الآثار المبهرة الحسية والمعنوية.

من هنا نشأت فكرة رسالتي هذه التي أرجو أن تكون لله خالصة وأن يكتب لها القبول.

❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه رسالة قصيرة، وكلمات يسيرة عن كتاب الله العزيز، كتبتها بقلبي وحبي، ورجائي بأن يكتب لها الكريم سبحانه القبول، مع اعترافي بضعفي وقلة بضاعتي، فلا حول لي ولا قوة إلا بالله، فمنه أستمد المدد والعون.

أردت في كتابي هذا أن أشوق الناس للقرآن؛ ليتعلق به الصغير والكبير والمريض والمهموم والمحتاج والمكروب وكل من يقرؤه.

فمتى تعلق العبد بربه وكلامه، أورث ذلك في قلبه اليقين والحب والرجاء، وعاش حياةً كريمة.

فالقرآن هو سر السعادة، ونور الحياة وبهجتها، من أقبل عليه اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وشقى.

وكـم أغبـط والله هؤلاء الذين عُرفـوا بالقرآن، وكـم أرجو أن أكون منهم.

فأسـأل الله تعالى في كتابي هذا الإخلاص والقبول، وأن يُشـيعه بين الأمة، وأن يغفر لي زللي وتقصيري.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن بن محمد العسيري

١٤٤٥هـ

❊❊❊

(١) إضـــاءة

قال الله تعالـى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

قال السـعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنـزل كتابه على رسـوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لنفع الخلق، ليُخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة.

❊❊❊

حاجة الأمة إلى القرآن

ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ كتابه إلا لحاجة الأمة إليه، فالأمة التي كانت شاردةً عن الله، غارقةً في بحار الجهل والظلم، كانت بحاجة ماسة لأمر عظيم يستنقذها، وكان هو المعجزة الخالدة، ونور الله المبين، الذي تفضل الله بكرمه وإنعامه على الأمة بإنزاله.

فمتى أقبلت الأمة على القرآن وجدت النور والنصر والتأييد، ومتى تولت وأعرضت لبست لباس الذل والهزيمة وتخبطت في عالم الظلام.

فالقرآن الذي بين أيدينا هو هدايتنا، هو سعادتنا، هو فلاحنا وسبيل نجاتنا، هو مخرجنا من الظلمات.

من هنا نقول وبحق وإيمان أن القرآن الكريم هو نقطة التحول في حياة الإنسان.

فبالقرآن يتحول الكافر من ظلمات جهله وشركه إلى نور الإسلام.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

ويتحول بعد أن كان ميتا إلى حياة أخرى جديدة.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾. [سورة الأنعام: ١٢٢].

وبالقـرآن يتحـول المسـلم إلى حيـاةٍ أخـرى مليئةٍ بالنـور والهدى والتوفيق.

❊❊❊

سطوة القرآن

القرآن له سطوة عجيبة وتأثير قوي على القلوب، وإلى يومنا هذا من يتأمل قصص الذين يُسلمون من شتى دول العالم ويتساءل لماذا يُسلمون؟ مع أن حالة المسلمين المادية ضعيفة، ومناطقهم بها المشاكل والحروب، علاوة على تشويه صورة الإسلام في العالم الغربي، وأنه دين عنف وإرهاب وقتل، فلماذا يُسلمون؟، لأنه دين سماوي والقرآن كلام الله الذي خلق الإنسان وخلق فطرته وأجهزة الاستقبال لديه، وحين يأتي القرآن على فطرةٍ سويةٍ يؤثر فيه.

ولذلك تجد الكثيرين من الذين أسلموا اليوم أسلموا بسبب القرآن، والواقع يشهد بالكثير من ذلك، والمتأمل والباحث في واقع الغرب اليوم، وما هو السبب الذي يجعلهم ينقادون إلى هذا الدين العظيم سيتوصل إلى نتيجة، وهي أن أغلب من أسلم، أسلم بسبب القرآن، ومن تابع البرنامج القرآني «بالقرآن اهتديت» يجد أن الذي قادهم للإسلام هو القرآن، وهذا أكبر دليل على سطوة القرآن، ويبقى السر الأعظم في إعجازه قدرته على التأثير في الإنسان، وتغييره من أي حال يعيشه، ليتحول بسبب القرآن إلى إنسان آخر يعبد الله على علم وبصيرة في كل شؤون حياته.

تأثير القرآن في الأعداء

اجتمع ثلاثة من قريش على غير موعد، وهم أبو جهل، وأبو سفيان صخر بن حرب، والأخنس بن شريق، عند بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمعون تلاوته للقرآن حتى الصباح، وحين هجم الصبح تفرقوا فجمعتهم الطريق، وعلم كل واحد منهم ما الذي جاء بهم، ثم تعاهدوا ألا يعودوا؛ لخوفهم من قريش أن تعلم بهم فيُفتنوا بمجيئهم، فلما كانت الليلة الثانية، جاء كل منهم ظنًّا أن صاحبيه لا يجيئان، للعهد السابق بينهم، فلما أصبحوا جمعتهم الطريق، فتلاوموا وتعاهدوا أن لا يعودوا، فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضًا، فلما أصبحوا تعاهدوا ألا يعودوا لمثلها ثم تفرقوا، وفي الصباح ذهب الأخنس بن شريق يطرق باب بيت أبي سفيان، وباب أبي جهل، ودار الحديث حول كلام الله، وما سمعوه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الليالي الماضية، والذي صنع الدهشة في قلوبهم، وخرجوا بأن القرآن حق ومحمد حق ولكن منعهم من اتباعه الكبر وحب الدنيا.

وصدق الله إذ يقول: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

شـاهد الـكلام: إن للقـرآن سـطوة وتأثير حتـى على الأعـداء، وما تعاهـدوا على عـدم العـودة إلا لخوفهم من سـلطان تأثير القـرآن على النفس العربي.

وقـد وصف العربـي الجاهلي العنيـد الوليد بن المغيـرة القرآن لما سـمعه: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسـفله لمغدق، وإنه يعلو و لا يُعلى عليه».

وقـد يعجب الإنسـان من كلام هـذا الكافر وهو يصـف القرآن بهذا الوصـف، ولكن يزول إعجابـك حين تقرأ قول بليغ أعجمي فيلسـوف ملحد، وهو جوزيف آرنست، ويبقى العجب منا، واسمع لما يقول: «تضم مكتبتي آلاف الكتب السياسـية والاجتماعية والأدبية وغيرها، والتي لم أقرأها أكثر من مرة واحدة، وما أكثر الكتب التي للزينة فقط، ولكن هناك كتاب واحد تؤنسـني قراءتـه دائما، هو كتاب المسـلمين القرآن، فكلما أحسسـت بالإجهـاد وأردت أن تنفتـح لي أبواب المعـاني والكمالات، طالعـت القرآن حيث أنني لا أحس بالتعب أو الملل بمطالعته بكثرة، لو أراد أحدٌ أن يعتقد بكتاب نزل من السماء فإن ذلك الكتاب هو القرآن لا غير، إذ أن الكتب الأخرى ليست كخصائص القرآن».

أخي القارئ:

ألا ترى اتفاقا عجيبا بين الوليد بن المغيرة وجوزيف!

إنهما يتفقان على قضية واحدة، أن القرآن «يعلـــو ولا يُعلى عليه».

وصـدق الله إذ يقـول: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤].

❊❊❊

كاد قلبي أن يطير

ومن أعجب ما سمعت في تأثير القرآن، ما ذكره جبير بن مطعم قبل إسلامه أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: الآيات ٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير.

فانظر إلى هذا التعبير العجيب نتيجة رهبة القرآن وسطوته على القلوب، فخطاب الله سبحانه للقلوب والعقول.

❋❋❋

سجود بلا مقدمات

سمعت قريش وهي كافرة قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أواخر سورة النجم: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: الآيات ٥٩-٦٢] فخروا سجدا لله وهم كفار.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «سجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»[(١)].

هل هناك معنى آخر لسطوة القرآن وهيمنته على القلوب؟

وتأثير القرآن ليس على القلوب فحسب، بل يمتد تأثيره أيضا على الجمادات: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. فلو نزل على جبل لما تحمله، من عظمته وعظيم ما فيه.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [سورة الرعد: آية ٣١]. المحذوف تقديرا: لكان هذا القرآن.

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٥٤).

أخي القارئ:

هكـذا كان تأثير القرآن في الأعداء، يسـتمعون إليـه، حتى أن قلوبهم كادت تنخلع، شـهدوا بأن القرآن حق من عنـد الله، ولكن أخذتهم العزة بالإثم، فارتدوا على أدبارهم ما يمنعهم إلا عناد وكبرياء.

وإذا كانت هذه المشاهد التي مرت معنا عن تأثير القرآن في الأعداء، فكيف بقلب المؤمن الموحد، إذا ما استقبل القرآن أحسن استقبال كيف يكون حاله، إن القرآن إذا نزل في القلب فرض هيمنته وسـلطانه وأحدث تغييرا عجيبا.

❊❊❊

ما الذي غير عمر!

نقطة التحول في حياة عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي القرآن.

عمر الذي كان شديد العداوة للإسلام والمسلمين، ولطالما نال المسلمون منه ألوان الأذى والعذاب.

عمر المعروف بحدة الطبع وقوة الشكيمة.

عمر الذي كان يخطط لأكبر جريمة في تاريخ البشرية، ليقتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

عمر الذي قيل عنه: والله لا يُسلم حتى يُسلم حمار الخطاب!

قيل ذلك يأسًا منه لما كان يُرى من غلظته وقسوته على الإسلام.

لكن ما الذي حدث لعمر؟

لما سمع عمر أن أخته وزوجها قد أسلما احتمله الغضب وذهب إلى بيتهما، فلما قرع الباب، قيل له: من هذا؟ قال: عمر، وكانوا يقرأون كتابا في أيديهم، وعندهما خبَّاب بن الأرت، فلما سمعوا حس عمر قاموا مبادرين فاختبأوا، ونسوا تلك الصحيفة التي فيها القرآن على حالها، فلما دخل عمر ورأته أخته فاطمة عرفت الشر في وجه عمر، فخبَّأت

الصحيفة تحت فخذها، قال عمر: ما هذا الصوت الخفي الذي سمعته عندكم؟ وكانوا يقرأون سورة طه، فقالوا: حديثٌ تحدثناه بيننا، قال عمر: فلعلكما قد صبوتما، فقال له سعيد: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك! فغضب عمر ووثب على ختنه سعيد وبطش به ووطأه ثم جلس على صدره، فجاءته أخته فاطمة فدفعته عن زوجها، فنفحها عمر نفحة بيده فأدمى وجهها، فقالت فاطمة وهي غضبى: يا عدو الله.. أتضربني على أن أوحد الله!

قال عمر: نعم.

قالت: افعل ما كنت فاعله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لقد أسلمنا على رغم أنفك يا عمر.

فلما سمعها عمر تحرك شيءٌ في قلبه، ندم عمر على فعلته، وطافه الخجل بعدما رأى أثر الدم في ختنه سعيد وأخته فاطمة بعد أن ضربهما.

فقال عمر: أعطوني الصحيفة التي عندكما أقرأها.

فقالت فاطمة: لا أفعل.

قال عمر: ويحك! قد وقع في قلبي ما قلت فأعطنيها أنظر إليها.

قالت: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم اغتسل، فخرج

عمر ليغتسل ورجع إلى أخته والماء يتصبب من على جسده، فدفعت إليه تلك الصحيفة يقرأ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه: الآيات ١-٨].

فوقعت هذه الآيات موقعها، وعظمت في صدره، وإذ بالإيمان يدب في قلب عمر، فقال عمر: من هذا فرت قريش، ينبغي من يقول هذا ألا يُعبد معه غيره، دلوني على محمد، فلما عرفوا منه الصدق، قالوا: في أسفل الصفا، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد وتوجه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته وجلوا، ولم يجترئ أحدٌ منهم أن يفتح له الباب، لما قد علموا من شدته على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأى حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجل القوم وخوفهم قال: ما بالكم؟ قالوا: عمر بن الخطاب! قال: افتحوا له فإن يرد الله به خيرا يُسلم، وإن يرد به غير ذلك يكن قتله علينا هينا، ففتحوا، فدخل عمر وقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ والله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة». فقال له عمر: يا رسول الله: «جئتك أؤمن بالله وبرسوله وبما جئت به من عند الله. فكبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكبر الصحابة معه.

نعم .. لقد تغير عمر، حين سمع القرآن، ودخل الإيمان قلبه، وامتلأ قلبه بلا إله إلا الله.

لما أسلم عمر أعز الله به الإسلام، وكانت إجابة لدعوة النبي عليه الصلاة والسلام حين دعا الله أن يعز الإسلام بأحد الرجلين أبي جهل، أو عمر بن الخطاب.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان إسلام عمر فتحًا، وهجرته نصرًا، وإمارته رحمة»[1].

لقد أثر القرآن في حياة الفاروق من أولها إلى آخرها، وكان وقافا عند كتاب الله، وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء من خشية الله.

القرآن الذي أثر في عمر والصحابة رضوان الله عليهم هو نفسه الذي بين أيدينا، ولكن ما أكثر الغافلين عنه، وما أعظم هجران الخلق له، فما تأخرت الأمة وظهر ضعفها إلا لبعدها عن القرآن.

كم هو مؤلمٌ أن يكون من أبناء المسلمين من لا يعرف القرآن إلا في رمضان، وكم هو مؤلمٌ أيضًا أن لا يكون للقرآن نصيبٌ من أوقاتنا وحياتنا.

❋❋❋

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٥٠).

(٢) إضـــاءة

عـن أبـي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: القـرآن نورٌ وذخـرٌ، قلت يا رسـول الله: أوصني، قال: «عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله». قلت: يا رسـول الله! زدني، قـال: «عليك بتلاوة القرآن فإنه نورٌ لك في الأرض وذخرٌ لك في السماء». رواه ابن حبان وحسنه الألباني

❊❊❊

ماذا لو أقبلنا على القرآن؟

الإقبال على القرآن يكون بتلاوته وحفظه وتدبره والعيش معه والعمل به.

من أقبل على القرآن سيجد حياةً أخرى، وسيجعل الله له نورا وبصيرة.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وبقدر حظك من القرآن بقدر حظك من النور.

من أقبل على القرآن ستتغير نظرته للحياة، وسيظهر له جليًّا أن الإنسان بغير القرآن من الغافلين ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ٣].

من أقبل على القرآن سيرحل عنه الحزن، لتحل السعادة بديلا عنه، فلا حزن يبقى والقرآن يُتلى ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢﴾ [طه: ٢].

قال الشنقيطي: أُنزل عليه ليسعد.

قيل لأحد العارفين: بقدر كم نقرأ من القرآن؟

قال: بقدر ما تريد من السعادة.

فهي رسالة واضحة، من فقد السعادة فليُراجع علاقته مع القرآن.

تمضي الحياة وأنت تطلب أنسها

والأنس كل الأنس في القرآن

من أقبل على القرآن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣].

من أقبل على القرآن رزقه الله السكينة والطمأنينة في قلبه وحياته.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

لا تخشَ من كدر الحياة وضيقها

كل الجروح شفاؤها القرآن

من أقبل على القرآن ثبت الله قلبه وأزال عنه القلق والاضطراب.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢].

من أقبل على القرآن أحيا الله قلبه ونور الله دربه، فالذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء قلبك وتنويره، ولذلك جاءت آية: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: آية ١٧] بعد قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: آية ١٦].

من أقبل على القرآن أخذ بيده لكل خير، واستقام أمره وبمقدار قربه منه يكـون قوامه وقوته، وببعـده عنه يكون انحرافـه وضعفه. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

من أقبـل على القرآن زاد إيمانه ورق قلبه ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

قال رجلٌ للحسـن البصري: يا أبا سـعيد: أشـكو إليك قسوة قلبي، قال: «أذبه بالذكر»[(١)].

وأعظم الذكر: القرآن.

مـن أقبـل على القـرآن عافاه الله من أمراض الشـبهات والشـهوات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

من أقبل على القرآن لن يخسـر أبدًا، فـكل تجارة قد يصادفها الربح أو تتعرض للخسـارة إلا تجارة العبد مع الله، فلا ندامة ولا خسـارة، لأن التعامل يكون فيها مع الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

أفبعد كل هذا نبتغي بغير القرآن بدلا؟!

(١) الوابل الصيب (١/ ٧١).

وقد وصف الله تعالى المعرضين عن القرآن بوصفٍ في غاية الذم والتَّنقُّص، حيث وصفهم (بالحُمُر): جمع حمار.

(المُستنفِرة): وهي شديدة النِّفار، الهاربة خوفًا وذُعرًا. من (القسورة): وهو الأسد أو الرامي ونحوها.

يقول الله سبحانه: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

فالمُعرض عن القرآن كأنه عند ربه الذي خلقه حمار، وليس أي حمار: بل حمار هائجٌ خائفٌ مذعور.

أجارنا الله وإياكم.

❋❋❋

قصة رحيم

رحيم شاب موسيقي مشـهور، ولد في لندن، والده من أصول عربية من الحجاز، ووالدته إيرلندية الأصل، نشـأ في عائلة متحررة، لا تتبع دينًا معيَّنا.

كان رحيم مولعًا في الموسيقى، حتى بعد انتهاء دراسته عمل مباشرةً في مجال الموسيقى، مع معارضة أهله له، حتى وصل إلى أشهر شركات الإنتاج العالمية.

كانـت تربط رحيـم علاقة مع ابن عـم له كانوا كالإخـوة، حتى بلغا الثامنة عشـر مـن العمر، وكانا يقضيـان الإجازة الصيفيـة معا، وفي تلك السـنة وفي صيفها وضعا الخطة لقضاء الإجازة، ولكن صديقه وابن عمه اتصـل عليه ليُخبره بخـبر مفاجئٍ حزين، اتصل برحيـم قائلًا: لدي خبرٌ سيء، فقال رحيم: وما هو؟

قال: لن أستطيع الذهاب معك في الإجازة!

رحيم: لاااا!. ولم؟

صديقه: سأذهب للحج!!

رحيم: يا إلهي! سأكلم والدتك، اتصل بوالدته وقال لها: أرجوك لا ترسليه.

قالت: لا.. بل سيذهب، لقد بلغ الثامنة عشر.. يجب أن يحج.

قلت: لا.. لقد حجزنا!

قالت: لا.. سيذهب.

ثم ذهب ابن عمه وصديقه إلى الحج، وذهب رحيم للإجازة مع بقية أصدقائه.

وعندما عاد الصديق من الحج كان قد تغير كثيرًا، وأصبح لا يخرج مع رحيم وأصدقائه، كانوا يلتقون في تجمعات مختلطة، وأماكن للموسيقى، ونحو ذلك، وبدأ يلتزم بالدين، وكان رحيم كلما التقى بصديقه يجده راضيًا سعيدًا، بعكس ما كان يشعر به رحيم من الحياة الصعبة والتعيسة بالرغم من توفر المال الكثير عند رحيم، ضاقت الدنيا أكثر بوجه رحيم، وبدأ يواجه الصعوبات في عمله وعلاقاته، وظهرت بعض المشاكل، تبدل شعوره، وبدأت الأشياء تسوء معه في العمل الموسيقي، وامتلأ قلبه بالإحباط والفراغ، حتى بلغ مرحلة ظن فيها أنه ربما سيُسجن، أو يُجنّ، وفي يوم من الأيام يقول رحيم:

أذكـر بأنني كنت أفكـر في الله، وفي عقد معاهدة معه، وفي تلك الفترة كنـت قد وقعـت في كثير من المعاصي، أذكر أننـي خاطبت الله قائلًا: إذا أنقذتنـي مـن هذه الورطة التي أنا فيها الآن، فسـأُقلعُ عـن كل المعاصي لمدة ثلاثة أسابيع.

هكذا كان العهد الذي قطعته مع الله..

وفي نفس اليوم قلت سـأفتح القرآن وأقرأ منه، وعندما فتحت القرآن وبدأت أقرأ كأنما هناك معجزة، الآية التي قرأت معناها بالإنجليزي، بعد العسر يأتي اليسر ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥- ٦].

يا سبحان الله!! إذا أراد الله شيئًا هيأ له أسبابه.

يقول رحيم: فانفجرت باكيًا، لقد كانت معجزة، كنت يائسًا جدا ولا أعـرف أين أذهب، ولا أين أهرب، كان آخر شـيءٍ أفكـر فيه الدين، فأنا أحب الدنيا، وكأنما هذه الآية كتبت من أجلي!! وليس لأحدٍ سواي، لم أكن وقتها أعرف الله، هذه الآية أو الآيتين كانت سـببا في إسـلام رحيم، وتعرفه على الله وعلى دين الإسلام.

آية غيـرت قلب رحيم، وكانـت نقطة التحول في حياتـه، فانظر ماذا صنعت بنا الآيات ونحن عرب مسلمون!

أسـلم رحيم وكان سـببا في إسـلام أمه التي عانت من السرطان آخر حياتها، فأسـلمت قبل وفاتها بثلاثة أيام، وقد كان أكبر تحدٍّ يواجه رحيم هو رفض أمه للإسـلام، وظل رحيم سبعة عشر عاما لا يستطيع أن يقول لأمه كلمة واحدة عن الإسلام! ولكن الله يهدي من يريد.

❊❊❊

قصة نيكولا

شـابٌّ فرنسي عانى الكثير في حياته، خلال فترة مراهقته بدأ ينحرف وترك الدراسـة في سـن الثالثة عشـر من عمره، وكان سـيء التصرف مع والده، بدأ بتدخين السـجائر، والحشيش، وبدأ في شرب الكحول، حتى وصـل بـه الحال إلى إدمـان المخدرات، وكان يسـرق المـال من والده وينفـق المال في المخدرات، وفي يوم من الأيام قرر أن يتوقف عن تناول المخـدرات والكحـول، ومر بأزمة نفسـية كبيرة، وبدون أن يسـمع عن الإسلام قرر أن يترك هذه التصرفات السيئة.

ما هي نقطة التحول وما هي البداية الحقيقية لنيكولا؟

بعـد أن مر بمرحلة سـوداء وقرر تـرك تصرفاتـه الخاطئة اضطربت نفسـيته ومنعته هذه الأزمة من الأكل وسبب له اضطرابات في النوم، كان يقوم بشيء واحد وهو المشي وأثناء المشي بدأ يتساءل عن معنى الحياة؟ فكان يتنزه وخلال التنزه لا حظ أن لوحات السـيارات لها حروف وهذه الحـروف تتكرر في سـيارات مختلفة، قاده ذلك إلى سـؤال، وهو: كيف يكـون ذلك ممكنا وماذا يوجـد وراء كل هذا؟ فبـدأ يهتم بالاحتمالات والصدفة ويبحث عنها، فبحث في الانترنت حول الصدفة والاحتمالات،

وعندما بحث في الإنترنت عن الصدفة والاحتمالات ظهرت له مجموعة من الحلقات العلمية التي تتكلم عن القرآن، وأنه يقول: أن هذا الكون لم يُخلق صدفة، فبدأ يقرأ الآيات التي تتحدث عن ذلك، وعندما مرت عليه آية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]. خشع قلبه فتأثر فأصبح ينظر إلى الكون بشكل مختلف، الأشجار مختلفة، والأنهار مختلفة، والسماء مختلفة، والشمس مختلفة، أصبح ينظر إليها بأنها آيات عظيمة تدل على خالق عظيم غفل عنه الكثير، وكان يتساءل لماذا لم أفكر من قبل في وجود الله؟ وأنه خلق كل شيء وله سلطان على كل شيء، فكانت هي نقطة الانطلاق لنيكولا وبدأ يتعلم القرآن ويقرأ معانيه بالفرنسية فلامست معانيه قلبه وغمرته مشاعر لا توصف، يقول: عندما تقرأ القرآن تشعر أن الله يخاطبك مباشرة وتتأثر به.

لقد أسلم نيكولا بسبب القرآن، وغير اسمه إلى عبد الله، لقد اختاره الله للإسلام وأحبه، وأنقذه الله من ذلك العالم المخيف الذي كان يعيشه.

❋❋❋

قصة أدهم النابلسي

أدهم شـابٌّ أردني عُرف بالغنـاء، وأصبحت مشـاهداته بالملايين، وأصبح الغناء العالم الذي يتنفسـه، وفي يوم مـن الأيام كتب تغريدةً عبر صفحته في تويتر:

ما الذي يقوله أدهم؟

يعني: ما هي الأغاني التي يقولها؟

وبـدأت الـردود الكثيـرة تتوالى، وكان مـن تلك الـردود ذلك الرد المفاجئ والغيـر متوقع، حيث أجاب أحدهـم بقوله: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: ٢٤].

فوقعـت هذه الآيـة موقعها، واسـتقرت في قلب أدهـم، وأراد الله به الخيـر، فأصبح يفكـر كثيرًا فيهـا، حتى قـرر أن يترك عالـم الغناء الذي أشـغله عن الله والحيـاة الباقية، وأصبح يهتم بالقرآن ويسـجل مقاطع له بدلا من الأغاني. فيا سبحان الله!!

آية غيرت مجرى حياته، وكانت نقطة التحول.

❋❋❋

مدرسة القرآن

القـرآن خيـر معلم وباعـث على الهـدى، وإذا نزل القـرآن في قلبك وحياتك كنت من خير البشـر. جاء في الحديث: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ»(١).

وصـح عن ابن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «مـن أراد العلـم فليُثوِّر(٢) القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين»(٣).

فـتـدبـر الـقـرآن إن رمـت الـهـدى

فـالـعـلـم تـحـت تـدبـر الـقـرآن

ومن قرأ القرآن بتدبر سيجد في كل آية يتدبرها معانٍ جديدة، وأسرارٍ فريدة، وإذا كان رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـد أوتي جوامع الكلم، فكيف بكلام واهب تلك المواهب لعبده ونبيه!!

ولكـن لابد أن يُعلم أن مرحلة التدبـر تأتي بعد مرحلة الفهم ومعرفة تفسير الآية.

❋❋❋

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٧).

(٢) التثوير: طرح القارئ أسئلته على نفسه للوصول إلى فهم عميق للآيات.

(٣) المطالب العالية (١٣/ ١٧).

رسائل من القرآن

بين يديك أخي القارئ بعضا من رسائل القرآن، وسأذكر ثلاثون رسالة، من كل جزء رسالة.

الرسالة الأولى:

رسالة من القرآن تخبرك أنك إذا كنت مع القرآن فأنت على الصراط.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصراط المستقيم كتاب الله»(١).

وجاء في الحديث عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، هو حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كانَ علَى الهُدَى، وَمَن تَرَكَهُ كانَ علَى ضَلَالَةٍ»(٢).

وقال أيضًا: «تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي»(٣).

وإذا أراد الله أن يهدي العبد حبب إلى قلبه القرآن، فحب القرآن

(١) تفسير الطبري (١/ ١٧٣).
(٢) صحيح مسلم (٢٤٠٨).
(٣) صحيح الجامع (٣٢٣٢).

مفتاح كل خير، وسبيل كل طاعةٍ وبر، فإذا أحس الإنسان في نفسه أنه يحن إلى كلام الله سبحانه ويشتاق إلى سماعه فإنه قد وضع قدمه على سبيل الله وصراطه.

وقال ابن مسعود أيضا: «لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن؛ فإنه يحب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

۞ الرسالة الثانية:

القرآن يعلمك أن الصلاة أعظم عون يفزع إليه العبد إذا اشتدت به الكربة ونزلت به نازلة. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

يا له من توجيه رباني، يحض المهموم والمكروب والمصاب بفقد عزيز أن يهرع إلى الصلاة، فهذه أخت لنا وجدت بركة هذا التوجيه، حيث فُجعت بفقد والديها وأخيها وأختها جميعا في حادث؛ إذ لما اشتد عليها المصيبة تذكرت هذه الآية ففزعت للصلاة، موقنةً بكلام ربها، فتقسم أنه نزل على قلبها سكينة عظيمة خففت عليها مصيبتها، وذلك تأكيد عملي على أثر تدبر القرآن والعمل به في حياة العبد في ظروفه كلها.

---

(١) فضائل القرآن؛ لأبي عبيد (١/ ٥١).

الرسالة الثالثة:

رسالة من القرآن تخبرك أن من أسباب إجابة الدعاء سؤال الله من فضله عند رؤية النعمة عند غيرك، فإن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى النعمة عند مريم توجه بسؤال الله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾. ثم أتته الإجابة ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٨- ٣٩]. وهنا يتميز المؤمن المحب من الحاسد المبغض.

الرسالة الرابعة:

القرآن يعلمك أهمية القراءة في التاريخ، ومعرفة أحوال الأمم؛ لأن ذلك يقودك إلى معرفة أخبار الأوائل، ومعرفة أسباب صلاح الأمم وفسادها.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧].

الرسالة الخامسة:

رسالة من القرآن تخبرك عن خطر المعاصي، وأنها سبب لحصول المصائب.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النساء: ٦٢].

فمتى نزلت بالعبد نازلة، وحلت به نائبة فليُراجع نفسه، فقد يكون ذلك بسبب ذنب ألم به، فهذا هو القرآن يرسخ منهج مراجعة النفس عند وقوع المصائب والأزمات.

۞ الرسالة السادسة:

القرآن يعلمك أنه أعظم كتاب، لقد هيمن على الكتب السماوية، فكيف بكتب الأرض!

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

فواعجبا لمن ينشغل بكتب البشر ويغفل عن كتاب رب البشر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما أشدها من حسرة، وما أعظمها من غبنة، على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه، فالله المستعان»[1].

۞ الرسالة السابعة:

رسالة من القرآن تخبرك أن من علامات قسوة القلب غفلة العبد عن ربه عند نزول البلاء، وكان الأحرى به سرعة العودة إليه سبحانه.

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٣٢٤).

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام: ٤٣]. ومن لم تقربه الشدائد من الله فقلما تقربه النعم.

الرسالة الثامنة:

القرآن يعلمك سعة رحمة الله وكرمه بعباده، فمن رحمته وكرمه أن جعل الحسنة بعشر أضعافها، والسيئة بواحدة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وويل لمن غلبت آحاده عشراته.

الرسالة التاسعة:

رسالة من القرآن تخبرك أن طائفة من الأمة المحمدية قائمةٌ بالحق، فهم يقولونه ويعملون به ويدعون إليه.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١].

وفي الصحيحين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى تقوم الساعة»[1].

(١) صحيح البخاري (٣٦٤١)، صحيح مسلم (١٠٣٧).

۞ الرسالة العاشرة:

القرآن يعلمك أن التكاسل عن فعل الطاعات، كالقيام إلى الفريضة، وأداء النوافل، وقراءة القرآن من علامات النفاق.

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

۞ الرسالة الحادية عشر:

رسالة من القرآن تخبرك أنه لا يمكن لأي قوة أرضية أن تقف أمام خير أراده الله لك، ففوض أمرك إلى الله وتوكل عليه.

﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

۞ الرسالة الثانية عشر:

القرآن يعلمك ويُرسل إليك رسالة مفادها: لا تكن كتابًا متاحًا لكل أحد، فهناك أسرار حقها الاحتفاظ، ففي النفوس البشرية مقاومة شرسة للمتفوقين والناجحين.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف: ٥].

الرسالة الثالثة عشر:

رسالة من القرآن تخبرك أن صفحات العمر مهما تلطخت يطويها الاستغفار.

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف: ٩٧].

الرسالة الرابعة عشر:

القرآن يعلمك أن أمنياتك وطموحاتك وأحلامك موجودة عند الله فاستمطرها بالدعاء والرجاء.

﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١].

الرسالة الخامسة عشر:

رسالة من القرآن تخبرك أن المستفيد الأول من إحسانك هو أنت، والمتضرر الأول من إساءتك هو أنت.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

قال بعض السلف: «ما أحسنت لأحد، وما أسأت لأحد، وإنما أحسنت لنفسي وأسأت لنفسي».

۞ الرسالة السادسة عشر:

القرآن يعلمك ويُرسل إليك رسالة مفادها: الله قادر على تحقيق ما تراه مستحيلا.

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾ [مريم: ٩، ٣٥].

۞ الرسالة السابعة عشر:

رسالة من القرآن تخبرك أنه بقدر ما تُقبل عليه يرتفع ذكرك في الدارين.

﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ [الأنبياء: ١٠].

۞ الرسالة الثامنة عشر:

القرآن يعلمك ويحذرك ألا تستصغر أي معصية، فقد تكون في عينيك هينة ولكن عند الله عظيمة.

﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾ [النور: ١٥].

وفي الحديث عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله، والنار مثل ذلك»[1].

(١) صحيح البخاري (٦٤٨٨). والشراك: سير النعل على ظهر القدم.

وفي حديث آخر: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ، يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض» وفي رواية «لا يُلقي لها بالا»[1].

الرسالة التاسعة عشر:

القرآن يعلمك أن الإقلاع عن الذنوب من صفات عباد الرحمن.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧١].

الرسالة العشرون:

رسالة من القرآن تخبرك أن الكريم يُسدي المعروف ولا ينتظر المكافأة.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤].

الرسالة الحادي والعشرون:

القرآن يعلمك أن الهداية لن تأتيك وأنت على فراشك، بل لابد أن تنهض وتنفض عن قلبك غبار الغفلة، وتذهب إلى ربك حتى تنال وسام الهداية وشرفها.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

(١) صحيح البخاري (٦٤٧٨)، صحيح مسلم (٢٩٨٨).

الرسالة الثانية والعشرون:

رسالة من القرآن تخبرك أن المرابحة بالصدقة لا خسارة فيها، بخلاف المرابحات المالية في الدنيا فهي معرضة للخسارة.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: آية ٣٩].

الرسالة الثالثة والعشرون:

القرآن يعلمك الهمة والطموح، ورفع سقف المطالب مع الله، فأنت تتعامل مع الكريم الوهاب، كما يعلمك أن مفتاح الهبات والعطايا الاستغفار.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥].

الرسالة الرابعة والعشرون:

رسالة من القرآن تخبرك أنه عزيز، فأعطه أعز الأوقات.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ [فصلت: ٤١].

ولا أنسى تلك الوصية العظيمة التي أوصى بها والد الشيخ المقرئ عبد الرشيد صوفي ابنه قائلًا: «واعلم يا بني أنه لا يهجر القرآن إلا من هان على الله!!».

فـإن أردت أن عـرف قيمتك وقدرك ومكانتك عنـد الله تعالى فانظر كيـف هي علاقتك مع القـرآن، فإن وفقك الله للارتبـاط بكتابه، فلا يمر عليـك ليـل أو نهار إلا وأنـت في صحبة القـرآن «تلاوة، حفظـا، تدبرا»، فاعلـم أنـك عزيز عند الله، قـد أحبك واصطفاك وحفظـك، ومن يهجر القرآن ويتركه فقد هان على الله.

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

وخصوصا يا حامل القرآن ومن له شأن معه: لا تهجر القرآن، لا تترك وردك أبدا، فلو كان أحدٌ يسعه ترك الورد القرآني لكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كان له وردًا لا يتركه، وهو الذي عليه أعباء الأمة ورسالة الإسلام.

وما سمي الورد وردا إلا لحاجة المؤمن لهذا المورد، فروحه عطشى لا يروي ظمأها إلا القرآن.

۞ الرسالة الخامسة والعشرون:

القرآن يعلمك: أنك بدونه ميت على قيد الحياة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

۞ الرسالة السادسة والعشرون:

رسالة من القرآن تخبرك أنه عند الشدائد تنكشف الحقائق، وتخرج الضغائن.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [محمد: ٢٩].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كمائن القلوب تظهر عند المحن»[(١)].

كما تعلمنا الآية أيضا: أنه يمكن إخفاء الكثير من المشاعر إلا الحقد والحسد والضغينة، فلا يقوى أصحابها على الكتم.

۞ الرسالة السابعة والعشرون:

القـرآن يعلمك أنك إذا أردت أن تعرف نصيبك من رحمة الله فانظر إلى نصيبك من القرآن، تلاوة، حفظا، تدبرًا، فهما للمعاني، عملا به.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن: ١، ٢].

۞ الرسالة الثامنة والعشرون:

رسالة من القرآن تخبرك أن من أهم قضايا إنزال القرآن التعرف على الله عَزَّوَجَلَّ، وأنـه لا يمكـن أن تصل إلى معرفة الله إلا بالقرآن، فإن الله قال في أواخر سورة الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ...﴾ ثم قال بعدها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢١، ٢٢].

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٩).

الرسالة التاسعة والعشرون:

القرآن يعلمك أن لا تنس قراءة القرآن مهما كانت لديك الأشغال، اقرأ ولو شيئا يسيرا، لا يمر عليك يوم لا تقلب صفحاته.

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

الرسالة الثلاثون:

رسالة من القرآن تخبرك عن أهمية تزكية النفس وبنائها، فقد كان جواب أعظم قسم في القرآن ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

فكم تتسخ نفوسنا وتتعثر، فلا فلاح لها إلا بطاعة الله، وتطهيرها من المعايب ورذائل الأخلاق. والعجب ممن يهتم بصحة بدنه ونشاطه وقوته ويهمل نفسه وقلبه ولا يهتم لذلك.

يا خادِمَ الجِسمِ كَمْ تشقى بخِدْمَتِهِ
لِتطلُبَ الرِّبحَ في ما فيه خُسْرانُ
أقبِلْ على النَّفسِ فاستكمِلْ فضائلَها
فأنتَ بالنَّفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ

هذه بعض من رسائل وأسرار القرآن، الذي لا تمل منه النفوس، و لا تنقضي عجائبه، لأنه كلام الله.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعجائب القرآن لا تنقضي؛ لأنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ»[1].

❊❊❊

(١) لقاء الباب المفتوح (١١٧/ ١٩).

(٣) إضـــاءة

وبالجملة؛ فلا شـيء أنفعُ للقلب من قراءة القـرآن بالتدبُّر والتفكُّر؛ فإنه جامعٌ لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورثُ المحبةَ والشـوقَ والخوفَ والرجـاءَ والإنابةَ والتوكُّل والرضا والتفويض والشكرَ والصبرَ وسائر الأحوال التي بها حياةُ القلب وكمالُـه، وكذلك يزجرُ عن جميع الصفـات والأفعال المذمومة التي بها فسادُ القلب وهلاكُه. (ابن القيم)

❋❋❋

ما هو التدبر؟ وكيف نتدبر؟

التدبر لغةً:

تَدَبَّرَ الأمرَ؛ أي: نظر في عواقبه[1].

والتدبر بمعناه الخاص:

التفكر والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة مقاصد الآيات والعمل بها.

ولو أردنا أن نعرف التدبر تعريفًا مختصرًا فسنقول أنه: معرف أهداف القرآن.

والله سبحانه قد حث على التدبر في كتابه في أربعة مواضع، منها قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

والغاية الكبرى، والثمرة العظمى من التدبر هي أن يُثمر في القلب إيمانًا، يقود صاحبه للعمل بمقتضاه، ويكون رضى الله هو مبتغاه، أما التدبر الذي لا يدفع صاحبه للعمل فلا ثمرة له.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلما ازداد العبد تأملًا فيه ازداد علمًا وعملًا وبصيرة»[2].

---

(١) أساس البلاغة (١/ ١٢٩).

(٢) تفسير السعدي (ص:١٨٩-١٩٠).

كيف نتدبر؟

القرآن هـو ينبوع الحكمة، ومفتاح العلوم، ونور الأبصار والبصائر، ومن تدبـر القرآن بصدق ظهرت له العجائب والأسـرار التي تزيد العبد يقينا وإيمانا بالله وحكمته وقدرته، ولقد تكلم العلماء عن طرق ومفاتيح التدبر وكلها نافعة، ولعلي أذكر بعضا من مفاتيح التدبر مختصرة:

أولاً: استحضار القارئ عظمة من أنزل هذا القرآن، فمتى عُظِّم الآمر عظمـت الآيات والأوامر، ومتـى حل تعظيم الله في القلـب كان للآيات وقعٌ مختلف وتعامل آخر.

قـال الحـارث المحاسـبي: «إذا عظـم في صـدرك تعظيـم المتكلم بالقرآن، لم يكن عندك شـيء أرفع، ولا أشـرف، ولا أنفع، ولا ألذ، ولا أحلـى مـن اسـتماع كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وفهم معـاني قوله تعظيمـا وحبا له، وإجلالا، إذ كان تعالى قائله، فحب القول على قدر حب قائله»[1].

ثانيًا: اختيار الوقت المناسـب للتدبر، وتفريغ القلب من ضده، لأن البعض يشـكو عدم تأثره بالقـرآن، فنقول له خذ هـو الوصفة القيمة من ابـن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قـال: «إذا أردت الانتفاع بالقـرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسـماعه، وألق سـمعك واحضر حضور مـن يخاطبه به من

(١) فقه القرآن (ص:٣٠٢).

تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطابٌ منه لك على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1]. فقبل أن تفتح صفحات القرآن افتح صفحات قلبك وكن مستعدا.

ثالثًا: ليكن بين يديك تفسيرا مختصرا، كالتفسير الميسر، أو المختصر في التفسير، أو تفسير السعدي.

رابعًا: استشعارك أن الآية موجهة إليك. وما أحسن قول ابن القيم السابق: «فإنه خطابٌ منه لك على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». فهذا من أعظم مفاتيح الانتفاع بالقرآن، أن تستشعر أيها القارئ أنه رسالةٌ من الله إليك، فمتى حل ذلك في قلبك تغيرت تلاوتك ونظرتك وانتفعت بكلامه.

خامسًا: اقرأ على مكث، تأنَّ ورتل ولا تعجل، وكرر ما احتجت إلى ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قراءة آيةٍ بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن»[2].

سادسًا: معرفة غريب الكلمات، فهي مفتاحٌ لفهم المراد.

---

(١) الفوائد (ص:٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (ص:٢٢١).

سـابعًا: سـؤال الله أن يفتح عليك في فهم القـرآن، فلن تصل إلى الله إلا بالله.

ثامنًـا: تـدارس القـرآن، ولا يكون التـدارس إلا بين طرفيـن فأكثر، فيتشاركون في القراءة والحديث، مع العودة للكتب، والاستفادة من أهل العلـم، وهذا من أعظم ما يُعين على التدبر. هنا يكون للقرآن طعمٌ آخر، كمـا يقول أحدهـم: «أول مرة أقرأ القرآن، وكان للقرآن طعمٌ آخر»! ولا أنسى تلك الوصية التي أوصاني بها أحد مشايخي حين كتب لي: «عليك بالقرآن فإن فيه ما يكفي ويشفي ويُغني».

❊❊❊

الصاحب الوفي

رحلة البحث عن الصاحب الـوفي الصادق المخلص في هذه الحياة صعبـة جدا، فالصديق جوهرة فريدة، وعملةٌ نادرة، فقلما يجد الإنسـان صاحبـا يفهمه، ويكـون معه في سـرائه وضرائه، ولكـن الوضع يختلف حيـن يتخذ الإنسـان القـرآن صاحبا لـه، فيرافقه في ليله ونهـاره، وفرحه وحزنـه، وشـأنه كله، هنا يجـد حقا الصاحـب الصادق الـوفي، الناصح النافع، المصاحب في كل الأحوال والأوقات، في الخلوات والسـكنات، في الحيـاة والممات، في القبر والمبعث، في الدنيا والآخرة، هو الصاحب الـذي لا يتخلى عـن صاحبه، جاء في الحديث: «يقـال لصاحب القرآن: اقـرأ وارتـق ورتل كمـا كنت ترتـل في الدنيا، فـإن منزلتك عنـد آخر آيةٍ تقرؤها»[(١)]. فلا يُمكن أن يوصف القارئ بأنه صاحبٌ للقرآن إلا إذا كان ملازمًا له، وكان خلقه القرآن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صاحب القرآن هو العالِم به، العامل بما فيه، وإن لـم يحفظه عـن ظهر قلب، وأما من حفظه ولـم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم»[(٢)].

(١) صحيح الترمذي (٢٩١٤).

(٢) الفوائد (٢/ ١٩٢).

والعلاقة مع القرآن تبدأ رحلتها من المسجد، منبع السكينة والطمأنينة، كيف لا والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(١).

فالالتحاق بحلقات التحفيظ تجعل القلب يتعلق بالمسجد ويحبه، الناس في انشغال بالدنيا والله اختاره للانشغال والارتباط بتلاوة القرآن وحفظه، وأجر تعلم القرآن أعظم من الدنيا وما فيها.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ من ثلاثٍ، وأربعٌ خيرٌ من أربعٍ، ومن أعدادهن من الإبل»(٢).

فهو يجمع الحسنات ويتقرب إلى رب الأرض والسماوات، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَن قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألف لام ميم حرف، ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»(٣).

(١) صحيح مسلم (٢٦٩٩).
(٢) صحيح مسلم (٨٠٣).
(٣) رواه الترمذي (٢٩١٠)، وقال الألباني: صحيح.

فكم نفعته هذه الصحبة وأودعت في قلبه السعادة والنور، بل وترفع شأنه ومكانته بين الأنام.

وصدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضعُ به آخرين»[١].

ويقول أيضًا: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»[٢]. وكان من خير البشر وأحسنهم، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٣].

هذا جزاء الصحبة في الدنيا، أما في القبر فهو يدافع عن صاحبه ولا يتخلى عنه.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يؤتى الرجل في قبره، فإذا أُتِيَ من قِبَلِ رأسه دفعته تلاوة القرآن، وإذا أُتِيَ من قِبَلِ يديه دفعته الصدقة، وإذا أُتِيَ من قِبَلِ رجليه دفعه مشيه إلى المساجد»[٤].

ومن السور التي تدفع عنه العذاب سورة تبارك، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»[٥].

---

(١) صحيح مسلم (٨١٧).
(٢) صحيح مسلم (٨١٧).
(٣) صحيح البخاري (٤٧٣٩).
(٤) صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).
(٥) السلسلة الصحيحة للألباني (١١٤٠)

هـذا حـال صاحبه في القـبر، أما في الآخـرة فيلتقـي الصاحب الوفي بحافظه، وقارئه، لقاء الوفاء، في يوم عز فيه الأخلاء.

يقـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن القـرآن يلقـى صاحبه حين ينشـق عنه قبره كالرجـل الشـاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقـول: ما أعرفك: فيقول: أنا صاحبك القرآن، الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجـرٍ مـن وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجـارة، فيُعطى الملك بيمينه، والخُلدَ بشـماله، ويُوضع على رأسـه تاج الوقـار»[(١)]، بل يتعدى إكـرام القـرآن لصاحبه يوم القيامة أن يُلبس والدي حامل القرآن أحسـن الحُلل.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به أُلبِسَ يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشـمس، ويُكسـى والداه حُلَّتين لا تقوم بهما الدنيا، فيقولان: بما كسينا؟ فيُقال: بأخذ ولدكما القرآن»[(٢)].

فقل لي بربك أي صحبة أعظم شرفا ووفاءً من صحبة القرآن!!

فلا تعدل بالعيش مع القرآن شيئًا.

❋❋❋

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٨) وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط.

(٢) صحيح الترغيب (١٤٣٤).

القرآن يخلصك من الذنوب

لطالما يطرح الشباب سؤالا على أهل العلم: كيف أتخلص من الذنوب؟

وهناك أسباب كثيرة، ولكن لما تحدث ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن تلك الأسباب في كتابه «الجواب الكافي» قال: «ومن أنفع ما في ذلك: تدبر القرآن؛ فإنه كفيلٌ بذلك على أكمل الوجوه، وفيه أسباب الخير والشر جميعًا مفصلة مبيّنة»(١).

وقال ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فو الله الذي لا إله إلا هو! ما رأيت وأنا ذو النفس الملأى بالذنوب والعيوب - أعظم إلانةً للقلب، واستدرارا للدمع، وإحضارا للخشية، وأبعث على التوبة من تلاوة القرآن وسماعه»(٢).

❊❊❊

(١) الجواب الكافي (ص:٢١).

(٢) تفسير ابن باديس (ص:٣٩).

القرآن يهذب الأخلاق

كم في هذا الكتاب الكريم من تهذيب للأخلاق والسلوك، وكم له من تأثير على قارئه وحافظه، فمنه يستقي الأدب والتهذيب والخلق الحسن، وأدب القرآن هو أدب الحياة، فمنه يتعلم الإنسان العقل والحكمة، والتعامل بحب، والتعاون بوفاء، والرحمة والتقدير، والتواضع وكظم الغيظ والإحسان، وغير ذلك مما يقوي الأخلاق ويزيد في الإيمان.

وما أجمل وصف عائشة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سُئِلت عن خلقه، فقالت: «كان خُلُقُهُ القُرآنَ»[1]. فالقرآن مصدرٌ لكل الأخلاق الكريمة، وفيه إشارة إلى الحثِّ على التأدب بآداب القرآن، والتخلق بأخلاقه، والاهتداء بهديه.

«كان عند ميمون بن مهران ضيف، فاستعجل جاريته بالعشاء، فجاءت مسرعةً ومعها إناء، فعثرت وأراقته على رأس سيدها، فقال: يا جارية أحرقتني، قالت: يا معلم الخير ارجع إلى ما قال الله تعالى، قال: وما قال؟ قالت: قال: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، قال: كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، قال: عفوت عنك، قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾، قال: اذهبي فأنت حرة»[2].

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٨١٣) وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٢٠).

(٤) إضـــاءة

ومن بركة القرآن أن الله تعالى يفتحُ به على المؤمن، كلما تدبرهُ فتَح الله به عليه من المعاني والحِكم والأسرار ما لم يَفتَحْه على المعرض عن القرآن. (ابن عثيمين)

❊❊❊

﴿ بركة القرآن ﴾

بركـة القرآن على صاحبه كبيرةٌ جدا، وما تعلق عبدٌ به إلا وجد بركة في نفسـه وماله وأهله وشـأنه كلـه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩]. وكلمة (مبارك) نكرة تفيد العموم، فتشمل بركات الحياة جميعا.

كثيـر من البيوت تئن وتشـتكي كثـرة الهموم، وضيـق العيش، وقلة البركة، وإذا سـألت عن حالهم وجدتهم بعيدين عن كتاب الله سـبحانه، فمن بركات القرآن اتسـاع البيت على أهلـه وحضور الملائكة وهروب الشياطين وكثرة الخير.

قـال أبـو هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن البيت ليتسـع علـى أهلـه، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثرُ خيره، إذ يُقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره، إن لم يُقرأ فيه القرآن»[(١)].

وكلمـا كانت قراءتك للقرآن أكثر كانت بركتك في الحياة أكثر، ومن بـركات القرآن تلك السـكينة التـي تخالط قلب القـارئ، والتي لا تقدر بثمـن، ولا يسـتطيع الإنسـان وصفها، صفاءٌ يهبط، وسـكينة ملموسـة،

(١) سنن الدارمي (٣٣٥٢).

وتوترٌ يغادر المكان، ومتى أعطيت القرآن أعطاك، وهي رسالة إلى كل قلبٍ مليءٍ بالأوجاع والهموم والغموم: والله لا تجعل له وردًا من كتاب الله إلا وتشعر أن تلك الأوجاع والآلام طارت من صدرك ورحلت حيث يشاء الله جل جلاله، وما زاحم القرآن شيئًا إلا باركه.

قال بعض السلف: «كلما زاد حزبي من القرآن زادت البركة في وقتي، ولا زلت أزيد حتى بلغ حزبي عشرة أجزاء».

قال إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي موصيا الضياء المقدسي: «أكثر من قراءة القرآن، ولا تتركه، فإنه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ».

قال الضياء: «فرأيت ذلك وجربته كثيرًا، فكنت إذا قرأت كثيرا تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأ لم يتيسر لي»[(١)].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات والخيرات في الدنيا»[(٢)].

❋❋❋

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٢٠٥).

(٢) العذب النمير (٢/ ٥٣١).

كرم القرآن

ربنا الكريم سبحانه وصف كتابه بأنه كريم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٧]. ففيه من أنواع الجود والسخاء الشيء الكبير، وما زال القرآن يُكرم صاحبه، فيُعطيه، ثم يُعطيه، ثم يُعطيه، وأوجه كرم القرآن لصاحبه كثيرة، منها:

أولاً: القرآن كريم لأن المتكلم به كريم سبحانه، فالكلام يُنسب لصاحبه، فصاحب القول الكريم كريم، وتأمل معي أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق: ١، ٣]. ومن أسمائه سبحانه الكريم، وهو أكرم الأكرمين، وكلامه سبحانه كلام كريم.

ثانيًا: القرآن كريم الأجر على صاحبه، جاء في الحديث: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميمٌ حرف»[(١)].

ثالثًا: القرآن كريم من حيث المعلومات، ففيه العلم عن الدنيا، وعن الآخرة، وعن النفس والقلب، وكل شيء.

(١) حسنه الترمذي في سننه (٢٩١)

رابعًا: القرآن كريم، لأنه يغني عن سائر العلوم، فهو كلام الله، وما كان ذو أهمية وصلاحٍ لنا ذكره القرآن، ومالم يكن لم يذكره لنا فالقرآن يكفينا ويغنينا.

خامسًا: كرم القرآن الخاص لصاحبه، فلا يتخلى عنه يوم القيامة، ففي الحديث الصحيح عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرَؤُوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرَؤُوا البقرة الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان تحاجان عن صاحبهما»(١).

سادسًا: كرم القرآن على حافظه، وعلى والديه، ولهذا جاء في الحديث عن صاحب القرآن:

«ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا»(٢).

سابعًا: من كرم القران على صاحبه أن جعل الله إجلال صاحب القرآن من إجلاله سبحانه، فقد جاء في الحديث الحسن عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من إجلال الله

(١) صحيح مسلم (٨٠٤).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢٩٥٠) وحسن إسناده محققوه.

تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المُقسط»[1].

ثامنًا: من كرم القرآن أثره على نفس القارئ وقلبه وذهنه.

تاسعًا: كرم المعاني، ففي الآية الواحدة لها عدة معاني، فهو يفيض بالمعاني؛ لأنه كريم.

❊❊❊

(١) سنن أبي داود (٤٨٤٣).

يتعافى المرء بالقرآن

القرآن شفاء، كما قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. [الإسراء: ٨٢]. و(من) هنا، لبيان الجنس لا للتبعيض، كما ذكر ذلك ابن القيم[١]، فهذا يشمل الأمراض الحسية والمعنوية، ولو لم يكن القرآن كذلك لما قرأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفسه، وأهله.

ففي الصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث»[٢].

وقالت أيضا: « كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مرض أحد من أهله: نفث عليه بالمعوذات»[٣].

وقد أقر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة على الرقية وأنها شفاء.

فعن أبي سعيد الخدري، قال: « انطلق نفر من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء!! فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا،

(١) انظر: «زاد المعاد» (٤/ ٣٢٢).

(٢) صحيح مسلم (٢١٩٢).

(٣) المصدر السابق.

لعلهم أن يكون عند بعضهم شيء؟ فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لُدِغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي، ولكن استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ: الحمد لله رب العالمين، فكأنما أنشط من عقال، فانطلق يمشي، وما به قَلَبَة. قال: فأوفَوْهُم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقتسِموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكروا له ذلك،، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟ ، ثم قال: قد أصبتم؛ اقسموا، واضربوا لي معكم سهما»[1].

وهذا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يؤكد صحة ما ذُكر بأن القرآن شفاء حيث يقول: «ولقد مر بي وقتٌ بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربة من ماء زمزم وأقرؤها عليها مرارًا، ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع بها غاية الانتفاع[2].

(١) صحيح البخاري (٢٢٧٦)،

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٦٤).

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله جَلَّ وَعَلَا ما أنزل داء إلا وأنزل له شفاء، علمه من علم وجهله من جهل، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل فيما أنزل على نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الكتاب والسنة - العلاج لجميع ما يشكو منه الناس، من أمراض حسية ومعنوية، وقد نفع الله بذلك العباد، وحصل به من الخير ما لا يحصيه إلا الله عَزَّوَجَلَّ»[1].

يذكر الشيخ عبد الكريم الخضير قصةً عن امرأة لديها حصوات في الكلى، أخذت كوبا من ماء زمزم، وقرأت عليه الفاتحة، والمعوذات فخرجت! وحين سئلت: ما فعلتِ؟ فقالت: القرآن الذي لو نزل على جبل وهو جبل لخر خاشعا! فكيف بحصوات!. إنه الإيمان وحسن الظن بالله لا يقف أمامه عائق!.

فالقرآن شفاءٌ للأمراض الروحية والبدنية متى ما حصل في قلب المريض اليقين والعزم وصدق اللجأ إلى الله تعالى، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب العالمين الذي لو نزل على جبلٍ لصدعه!! أو على الأرض لقطعها!!

فهذه رسالة إلى كل من أسرته الذنوب، ويشتكي قسوة قلبه، أو من أنهكه التعب، وآلمه الوجع، أن عليك بالقرآن، فهو والله شفاء كما قال

(١) فتاوى ابن باز (٣/ ٤٥٣).

الله، ومن أصدق من الله، فكم صلحت من قلوب بالقرآن، ولانت بكلام ربها وذكره، وكم شفي من مريض، وعوفي من مسحور أو محسود، مع أهمية اليقين بوعد الله وحسن الظن به، ولا يغفل المريض أو المبتلى عن الدعاء أيضا، والله سبحانه في كتابه قد أوصانا بالدعاء، وذكر أدعية الأنبياء في كروبهم ومعاناتهم، فبهداهم يقتد الموفق، وبدعواتهم يدعو، فهذا يونس بن متى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، في أحلك الظروف، وأنواع الظلمات، ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، ولم يغب عنه حسن الظن بالله والأمل ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: آية ٨٧]. فجاءت البشرى له ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: آية ٨٨]. ولمن دعا بهذا ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: آية ٨٨].

وهذا نبي الله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، سنوات من المرض والتعب، لم تنسه الدعاء ومناداة الكريم الوهاب، ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: آية ٨٣]. فجاءت البشرى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: آية ٨٤]. فو الله ما رأيت مثل الدعاء، للمريض، والمهموم، والمكروب، وذا الحاجة، ولمن تعسرت عليه

أمـوره، وتوقف تفكيره فيما نزل بـه، ادع الله وتحر أوقات الإجابة فربك قريـب، واحـرص على هذين القربيـن: جوف الليل، والسـجود، فربك قريب منك ويسمعك ولن يُخيبك.

جـاء في الحديـث عن عمرو بن عبسـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر»[1].

وفي الصحيح أيضا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[2].

فقل لي بربك: من جمع بين هذين القربين وانكسـر لله شاكيا، وبين يديه باكيا، هل سـيرده القريب الرحمن!! حاشـاه سـبحانه، فعطاياه تأتي عند كسـرة قلبـك وافتقارك إليـه. فالدعاء علاج لكل الأمـراض متى ما حصل اليقين وصدق التوكل على الله.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «علاج الأمراض كلها بالدعاء»[3].

وأحدثكم عن قصتين حدثت معي شخصيا:

الأولى: لـي صديـق متـزوج منـذ سـنوات ولم يُـرزق بذريـة، وبذل

(١) سنن الترمذي (٣٥٧٩).
(٢) صحيح مسلم (٤٨٢).
(٣) فتح الباري (١٠/ ١١٥).

الأسباب وما يستطيع في أن تحمل زوجته، ودار بيني وبينه حديث حول هذا الموضوع، وبدا عليه الحزن والألم، حتى قال لي: بدأ اليأس يتسلل إلي أن زوجتي لن تحمل، فقلت له: لا يأس مع الله، وهكذا علمنا القرآن، وأوصيته بدعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: آية ٨٩]، وأن يُكثر منه هو وزوجته خصوصا في سجودهما، فمن رزق زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد بلغ من الكبر عتيا، وامرأته عاقر، قادرٌ على أن يرزقكما. فوالله ما هي إلا أيام ويخبرني وعيناه قد اغرورقت بالدموع، أن زوجته حامل.

الثانية: وآخر يشتكي لي في رمضان الماضي أن له خمس سنوات أو أكثر لم تحمل زوجته، وليس له من الأولاد إلا واحدا، مع أن جميع الفحوصات والتحاليل سليمة، فأوصيته أن يلزم دعاء زكريا الآخر: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: آية ٣٨]. وإذا به بعد أيام قليلة يخبرني أنه لزم هذا الدعاء في العشر الأواخر، وإذ بزوجته تفاجئه بعد رمضان أنها حامل، فما أعظم الدعاء، وما أعظم كرم الله!!.

❋❋❋

(٥) إضـــاءة

والله الـذي لا إلـه غيره! ما نزلت آيةٌ من كتـاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلـت، وأعلم فيم نزلـت، ولو أعلم أن أحدًا أعلم بكتـاب الله مني تناله المطي لأتيته. (ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

❊❊❊

﴿ هو خيرٌ مما يجمعون ﴾

عندما تتأمل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾. [يونس: ٥٧- ٥٨].

وتقف أمام هذه الكلمات: (شفاء)، (هدى)، (رحمة)، (فضل الله)، (رحمته)، وتتأمل في ﴿هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾، وفي قراءة أخرى سبعية (تجمعون)، تعلم يقينًا أن من آتاه الله القرآن، علما وعملا، فلا أحد أغنى منه، ولا أحد أُعطي خيرًا منه.

قال سفيان بن عيينة: «من أُعطي القرآن فمد عينيه إلى شيءٍ من الدنيا فقد صغر القرآن، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨][1].

وقال القاسم بن سلام: لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدًا من أهل الأرض أغنى منه، ولو ملك الدنيا برحبها»[2].

(١) فضائل القرآن؛ لأبي عبيد (١/ ١١٤).

(٢) غريب الحديث (٢/ ١٧١).

فافرح بالقـرآن، وامتثل أمر الله ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ فكنوزه خيرٌ من خزائن الأمـوال، وكل مـا في الدنيا من ملـك وعقارات وأموال فهـي دون فرح المؤمن بهذا القرآن العظيم، وذلك لأن الفرح بالقرآن مما يوجب انبساط النفس ونشـاطها، ويدفع العبد إلى شـكر مولاه، ويزيـد الرغبة في العلم والإيمان.

❊❊❊

جبر القرآن

كل كسرٍ ففي القرآن جبرانه، فكم من دمعةٍ مسحها القرآن!

وكم من جرح ضمده القرآن!

وكم من روح آنس وحشتها القرآن!

وكم من آية نزلت على قلب مريض فداوته!

ومكسورٍ فجبرته!

ولكم أن تتخيلوا معي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحادثة الإفك وما حصل فيها من عظيم الابتلاء، حتى أنها كانت تبكي ولا يجف لها دمع، حتى ظنت أن البكاء فالقٌ كبدها، ثم ينزل الله في شأنها آيات تبرؤها تتلى إلى يوم القيامة، كان لها وقعها الكبير في قلب الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فجُبر قلبها، وسرِّي عنها، وارتحلت معاناتها، وما كانت تظن أن الله سيُنزل براءتها من فوق سبع سماوات.

القرآن الكريم يراعي المشاعر ولا يُهملها، والحديث عن مراعاة المشاعر في القرآن لا ينضب، من ذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى:٩-١٠]. فهذا أمرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمراعاة مشاعر اليتيم، فلا يُقهر ولا يُذل، وكذلك السائل فلا يُزجر ولا يُحتقر.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في أمر المطلقة، بأن تُعطى مالًا جبرًا لخاطرها ومراعاةً لمشاعرها.

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: ٤٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: ١٤١].

القرآن الكريم بلسم الجراح، ودواء الأرواح، تأمل معي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦]. هذه الآية العظيمة لها الأثر البالغ في حياة من وعاها، واهتدى بهداها، آيةٌ تجبر الخاطر، وترسخ في قلب المؤمن أصلا من أصول الإيمان العظيمة: ألا وهو «الإيمان بالقضاء والقدر»، فكم يقع للإنسان من الأقدار الموجعة ما يؤلمها، مما قد ينتج عن ذلك الجزع، والحزن، والنظرة السوداء للحياة، وإذا بهذا المقدور يصبح خيرًا على الإنسان من حيث لا يدري،

والعكس كذلك، فقد يسعى الإنسان في أمر ظاهره خير، ويستميت في سبيل الحصول عليه، ثم يكون شرا عليه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾.

وقصص القرآن مليئةٌ بذلك، وشواهد كثيرة من واقعنا وحياتنا، من ذلك:

- قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وإلقائه في اليم وهو رضيع وما حصل له من أمور ظاهرها الشر ثم كانت خيرا له ولأمته.

- قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وما مرت به من مراحل فحب والده قاده للبئر، ومن البئر إلى بيت العزيز، ومن بيت العزيز الذي ظاهره خير قاده للسجن، والسجن الذي ظاهره شر أصبح بعده عزيز مصر.

- قصة الغلام الذي قتله الخضر، فظاهر الأمر شر، ولكن موته كان خيرا له ولوالديه: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرًا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١﴾ [الكهف: الآيات ٨٠-٨١].

وأما قصص الواقع فكثيرة جدا، فكم من أمر حرصت عليه غاية الحرص فصرفه الله عنك، وتبين لك أن الخير فيما اختاره وقدره الله، وأن في المنع عطاء، وكم من أمر نزل بك وظننت أنه شر ومع مرور الزمن ظهرت لك رحمة الله وحكمته.

فعلى العبد أن يحسن توكله على الله، وأن يبذل بوسعه ما يستطيع من الأسباب، فإن حصل له ما يحب فليحمد الله، وإن حصل خلاف ذلك فليرضَ بما قسمه الله وقدره، وليتذكر هذه الآية العظيمة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦]. فكم فيها من جبر للخاطر ومراعاة للمشاعر.

يؤذيك أحدهم بكلمة جارحة فتؤذي قلبك، ويسكنه الألم، فتتذكر قول الله تعالى لنبيه: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧﴾ [الحجر: ٩٧].

فتعلم أنه قد أوذي من هو خيرٌ منك، وتألم من ذلك، فلست وحدك من أوذي وتألم، فيسليك القرآن ويعزيك، وتجد انفراجةً في صدرك وجبرا لخاطرك.

تحسن إلى أحدهم سنوات فيُقابل جميلك بالنكران، ولا يُجازيك بإحسانك، فتحزن لذلك، ويتوجع قلبك، فتمر عليك آية: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦﴾ [العاديات: ٦]. وتتأملها جيدا، وتعلم أن الكنود هو الذي ينسى النعم ويعدد النقم، هذا هو تعامل الإنسان مع ربه الكريم المنان الذي لطالما أغدق عليه في النعم وأعطاه، فيُقابل ذلك كله بنسيان النعم،

ويركز على النقم، فإذا كان هذا تعامل المخلوق مع الخالق سبحانه، فكيف بتعامل المخلوق مع المخلوق!!

قد يمر بك بلاء أو مرض أو عقبة من عقبات الحياة فيكبر ذلك في عينك، وتتغير نفسيتك، وتعيش حالة من الضيق، ثم تقرأ آيات ربك، وتستوقفك آية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه: ١٠٥]. فتقول في نفسك العقبات التي أواجهها ليست بأشد من الجبال، بل هي هينةٌ على الله سبحانه، ثم يسكن قلبك اليقين والسكينة والصدق بوعد الله وقدرته، فتلجأ إليه داعيا، ولبابه طارقا.

قد يجهل الناس قيمتك، لكنك لن تحزن إذا تذكرت أن هناك أنبياء قد جهل قومهم قيمتهم، فهذا نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يصفه قومه بأنه فتى كما في قوله سبحانه: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠] لكنه عند الله كان ذا قيمة، كما وصفه بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

وهذا نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ميزان قومه: ﴿مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزخرف: ٥٢].

وأما ميزان الواحد الديان: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب: ٦٩]. فلا تهتم بموازين الخلق واستشعر رقابة الله.

والله أنـه يبلغ بصاحب القرآن، ومن له ورد يومي أن تمر عليه بعض الآيـات التـي يقرؤها فـإذا بها تلامـس قلبه، وتحاكـي واقعـه ومعاناته، فيتوقف عن القراءة قائلا: «أيْ ربي أهذه الآية نزلت فيَّ»؟

هذا هو القـرآن يقف مع صاحبه وقت حاجتـه، فتكون تلك الآيات بلسما لقلبه ودواء لجراحه، فما أعظمه من كتاب!!

وما أحلاها من صحبة!!

فأهل القرآن في نعمة جليلة لا يعرفها سواهم.

❊❊❊

طريق الأمـان

القـرآن يختصر عليك الطريق، وبأقـل مجهود لتصل إلى بر الأمان، ونـور الإيمان، وتقترب من مولاك، فهو حبل الله المتين، من تمسـك به أفلح ونجا، ومن أعرض عنه خاب وخسر.

قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبشروا أبشروا، أليس تشهدون أن لا إلـه إلا الله، وأني رسـول الله؟»، قالوا: نعم، قال: «فإن هذا القرآن سـببٌ طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسـكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا»(١).

فمن أراد سـيرا مأمونـا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وثباتا على صراطه المسـتقيم؛ فعليه بالقرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير: ٢٧-٢٨].

والقرآن هو أفضل وسـيلة لزيادة الإيمان، قال سـبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة الأنفال: آية ٢] [التكوير: ٢].

فبه تحيا الروح من جديد، ويولد الإنسـان حياة أخرى، فيصبح قلبه مهيأً للسير إلى الله، وحسن الاتصال به.

---

(١) أخرجـه ابـن أبـي شـيبة في المصنـف (١٠/ ٤٨١)، وابـن حبـان (١/ ٣٢٩ برقـم: ١٢٢)، وحسـنه الأرناؤوط، ومعنى «سبب»: حبل.

القرآن وحياة القلب

لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فمن داوم قراءة القرآن أصلح الله قلبه، وزاده إيمانه تبعا لذلك، وكلما زاد الإيمان نقصت مساحة الهوى في القلب، حتى يصل الإنسان إلى مرحلة من أجمل مراحل العمر، وهي مرحلة تمكن الإيمان من القلب، والاستحواذ على مشاعره بأكملها، فيتحرر من الهوى، ويولد قلبا جديدا، ينبض بالحياة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فللروح في هذا العالم نشأتان: إحداهما النشأة الطبيعية المشتركة، والثانية نشأة قلبية روحانية، يولد بها قلبه وينفصل عن مشيمة طبعه كما وُلد بدنه وانفصل عن مشيمة البطن، ومن لم يصدق بهذا فليضرب عنه صفحا وليشتغل بغيره»[1].

فبعد هذه الولادة للقلب الحي، تبدأ نقطة التحول في الحياة، وتبدأ رحلة العبد المباركة في سيره إلى الله، فيتعرف عليه في دنياه، ويقترب منه في أخراه.

❋❋❋

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥٦٣).

﴿ يا حسرة من هجر القرآن ﴾

فما أشـدها من حسرة، وما أعظمها من خسـارة أن يسعى الكثير منا سـعيا حثيثا للبحث عن السعادة في غير طريق القرآن، وواحسرتاه عندما يجدون أن ما كانوا يبحثون عنه كان قريبا منهم، وفي متناول أيديهم،!!

كيف يكون القرآن ضيفًا على الرفوف، ولا يلحقه البر إلا في رمضان، هل نعتصم به ونعض على أنواره بالنواجذ أم نكون:

كالعِيـسِ في البيـداءِ يقتُلُهـا الظَّمَـا

والـمـاءُ فـوق ظـهـورِهـا محـمـولُ

يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شـاكيًا في ذلك اليوم حال قومه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠].

وهجر القرآن يشـمل هجر سـماعه والإيمان بـه والعمل وتحكيمه وتدبره والاستشفاء به كما ذكر ذلك ابن القيم(١).

قال أبو العباس بن تيمية: «من هجر القرآن فهو من أعداء الرسول»(٢).

وهجر تـلاوة القرآن من أعظم أنواع الهجر، فهجر الإنسـان للقرآن

(١) الفوائد (١/ ٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٦).

من أعظم أهداف الشيطان، لأنه إذا ابتعد عن القرآن ضعف إيمانه، وإذا ضعف الإيمان تمكن الشيطان: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

فبمقدار الابتعاد عن ذكر الله والقرآن تكون سيطرة الشيطان على الإنسان، واقترابه منه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

فليحذر العبد غاية الحذر من ترك الذكر وهجر القرآن، فلحظات الغفلة عنهما والتلبس بالمعاصي فرصة لتمكن قرين السوء؛ فلنحذر!! وهجر القرآن علامة على قسوة القلب.

قال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

والمشروع في حق المسلم المحافظة على تلاوة القرآن، والإكثار منه حسب الاستطاعة، امتثالا لعموم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقوله: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقوله عن نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٩٢].

---

(١) فضائل الصحابة؛ لأحمد بن حنبل (١/ ٤٧٩).

ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرَؤُوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[(١)].

ومما يعين على قراءة القرآن وتدبره والمداومة على ذلك استشعار العبد أنه يقرأ كلام الله العظيم الذي لا أفضل من كلامه، وفضل كلام الله على كلام البشر كفضل الله على خلقه، وأن قراءته وتدبره من أعظم ما يتقرب العبد به إلى الله تعالى.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل: كثرة تلاوة القرآن وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم»، قال خباب بن الأرت: «تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيءٍ أعظم من كلامه»[(٢)].

وقد نص الفقهاء على كراهة تفريط القارئ في شأن تلاوته وختمه حتى يمر عليه أكثر من شهر، أو أكثر من أربعين يوما وهو لم يختم القرآن.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكره أن يؤخر ختمة القرآن أكثر من أربعين يوما.. وقال أحمد: «أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين، ولأن تأخيره أكثر من ذلك يفضي إلى نسيان القرآن والتهاون به»[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم (٨٠٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٤٢).

(٣) المغني (٢/ ٦١١).

(٦) إضـــاءة

إنمـا آيـات الله خزائن؛ فإذا دخلت خزانـةً فاجتهد أن لا تخرجَ منها حتى تعرف ما فيها. (سفيان بن عيينة)

❋❋❋

استوقفتني آية

لا تكاد تجد إنسانا يُقبل على القرآن بقلبه وروحه، فيقرؤه بتأمل وتدبر إلا وتستوقفه عدة آيات يمر بها فيقف متأملا لها، سائلًا عما أشكله، باحثا عن جواب يفيض قلبه إيمانا وواقعه عملا، فيخرج من الآية الواحدة بعلم وإيمان ومشاعر فياضة، فكيف لو عاش مع القرآن كله!!. وأصبح له في كل آية حكاية!!.

بين يديك أخي القارئ بعضًا من الآيات التي استوقفتني علها أيضًا أن تستوقفك وتبصرك وتقودك لكل خير.

- كنت أقرأ ذات مرة سورة البقرة حتى مررت بقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] فاستوقفتني كلمة (الناس)، فالخطاب هنا عام، فهو لكل الناس مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، صغيرهم وكبيرهم، فهذا أمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأصل أن الأمر للوجوب، فتبين لي بعد الوقوف مع هذه الآية أن قضية إحسان القول والملاطفة فيه ليست قضيةً اختيارية، إن شاء تخلق بها الإنسان أو تخلى عنها، بل هي أمر لازم واجب أمر الله به، وتأملت كذلك أمر الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه موسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ عندما ذهبا إلى أطغى أهل الأرض فرعون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.

[طه: ٤٣-٤٤]. مع علم الله سبحانه أن فرعون لن يتذكر ولن يخشى، ولكنها رسالةً إلينا إذا كان الأمر بالملاطفة مع طاغية كفرعون فكيف بمن هو دونه!! وتساءلت كيف هي عباراتنا في حياتنا، مع الزوجة، مع الأبناء، مع الصغار، مع الكبار، مع طلبة العلم، مع أصحاب الحاجات، مع الموظفين، مع الطلاب، مع الأصحاب!! علينا أن نراجع عبارتنا وتعاملاتنا مع الخلق، فالواقع يشهد أن الناس تحب الذي يتلطف معهم في الكلام بخلاف من يُخاشنهم ويزجرهم. فهذا نبي الرحمة يقول له ربه جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فإذا كان هذا الأمر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي زكاه الله بالخُلق العظيم، فنحن من باب أولى.

وهناك كلمة جميلة لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول فيها: «من لانت كلمته وجبت محبته»[(١)].

ولأهمية الكلمة الطيبة وأثرها أمر الله بها إذ يقول سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]. بل إن من الهداية أن يوفق الله العبد للكلمة الطيبة، قال سبحانه: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]. وحثنا عليها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) الآداب الشرعية؛ لابن مفلح (١/ ٣٥٦).

ففي الحديث: «والكلمة الطيبة صدقة»[(١)].

وفي الحديث الآخر: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[(٢)].

بل رتب الله على أصحاب القول اللين الحسن دخول الجنة.

جاء في الحديث عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن في الجنة غرفا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»[(٣)].

- وذات مرة كنت أقرأ سورة طه حتى بلغت قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن أمره الله بالذهاب إلى فرعون، فكان أول دعاءٍ يدعوه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه: ٢٥].

فتساءلت لم كان هذا أول دعائه!! فوجدت جوابا جميلا للسعدي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول فيه: «لأن الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (٢٩٨٩).
(٢) صحيح البخاري (٦١٣٨).
(٣) صحيح الجامع (٢١٢٣).
(٤) تفسير السعدي (١/ ٥٠٤).

فهي وصية للدعاة وطلبة العلم ومن استصعب عليه أمرا أن يكثر من هذا الدعاء «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي» «وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي».

- استوقفتني آيةٌ في سورة البقرة بعد أن سألني أحد الطلاب عنها، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]. حيث سألني: ما الحكمة من قوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ ولم يقل «كما يعرفون أنفسهم»؟

فكان جوابي: لا أعلم.

فأجابني بقوله: الإنسان يعرف أبناءه منذ ولادتهم وحتى يكبروا، بخلاف معرفته بنفسه، فلا يعرفها حتى يكبر قليلا ويميز.

ورجعت لتفسير الآية فوجدت ذلك في تفسير ابن عطية إذ يقول: «وخُصَّ الأبْناءُ دُونَ الأنْفُسِ وهي ألْصَقُ، لِأنَّ الإنْسانَ يَمُرُّ عَلَيْهِ مِن زَمَنِهِ بُرْهَةً لا يَعْرِفُ فِيها نَفْسَهُ، ولا يَمُرُّ عَلَيْهِ وقْتٌ لا يَعْرِفُ فِيهِ ابْنَهُ»[1].

- ومما استوقفني أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

إذا كان استغفار مشرك دفع الله عنه العذاب، فكيف باستغفارك أيها المؤمن الموحد!!

(١) المحرر الوجيز (١/ ٢٢٣).

وليس الاستغفار فقط سبب للأمان من العذاب، بل هو سبب لتفريج الهموم، وتيسير الأمور، وباب عظيم لاستجلاب الرزق، من المال والولد وغير ذلك، فبركات الاستغفار كثيرة إذا ما أكثر العبد منه بقلب مؤمن، ولسان ذاكر، فكم من ذنبٍ غفر بسبب الاستغفار، وكم من همٍّ رحل بسبب الاستغفار، وكم من أمورٍ تيسرت بسبب الاستغفار، وكم من ديْنٍ قضي بسبب الاستغفار، وكم من عقيم رزق بسبب الاستغفار، وكم من الهبات والعطايا كانت مفتاحها الاستغفار، ومن حُرم الاستغفار فقد حرم خيرًا كثيرًا!.

جاء في الحديث المروي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيقٍ مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وهذا الحديث وإن ضعفه أهل العلم إلا أن في القرآن ما يشهد لصحة معناه.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: « هذا الحديث ضعيف، ولكن معناه صحيح، لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: آية ٣]، وقال تعالى عن هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: آية ٥٢]، ولا شك أن الاستغفار سبب لمحو الذنوب، وإذا محيت الذنوب تخلفت آثارها المرتبة عليها، وحينئذٍ يحصل للإنسان الرزق والفرج من كل كرب، ومن كل هم، فالحديث ضعيف السند، لكنه صحيح المعنى».[1]

- استوقفتني آية في سورة المائدة جعلت أتأملها كثيرًا وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١]. آية مفزعةٌ للقلب لمن كان له قلب!! فينبغي لك أيها الموفق أن تكثر من سؤال الله الهداية وأن تديم هذا الدعاء: «اللهم حبب إلي الإيمان، وزينه في قلبي، وكره إلي الكفر والفسوق والعصيان، واجعلني من الراشدين». ودعاء: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

- ومن أكثر الآيات التي تستوقفني وتجعلني أفرح، بل وتفتح لي نوافذ الأمل، اقتران اسم الله الودود بالرحمة والمغفرة، ففي سورة هود: يقول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: آية ٩٠]، وفي سورة البروج: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج: آية ١٤].

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٦/ ٢).

والودود هو الذي يحب عباده الصالحين، ويقربهم إليه.

والسؤال: ما هي الحكمة في اقتران اسم الله الودود باسمي الرحيم والغفور؟

يجيبك ابن القيم بقوله: «وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك فإنه يحب التوابين وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان»[1].

وهي رسالة لكل مذنب أن يعجل بتوبته فيفرح ربه الذي يغفر ذنب عبده، ويرحمه، وفوق ذلك كله يحبه.

- كنت في جلسة قرآنية مع بعض الأحبة، وكان الحديث فيها عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى بلغنا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٤١]. فكان مما استوقفنا أن الله تعالى حبس لسان زكريا عن الكلام إلا عن ذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مما يدل دلالة قاطعة على عظيم فضل الذكر وأثره على قلب العبد وحياته، لأن الذكر غذاءُ القلب وبتركه يموت، فيصبر الإنسان عن الكلام، ولا يصبرُ عن ذكر الله، ولو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٢٤).

- ومما استوقفني كذلك في مسألة الذكر قول الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. فأي شرفٍ أعظم وأي مكانةٍ أرفع أن يذكرك الله عنده في الملإ الأعلى، وقد تكون في مجلس فتهمش ولا يتحدث معك أحد فتذكر الله جَلَّجَلَالُهُ، فيكون معك، ويذكرك في ملإٍ خير منهم، كما جاء في الحديث القدسي: «أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ»[(١)].

قال خالد الربعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قف عند هذه الآية، ولا تعجل! فلو استقرَّ يقينها في قلبك ما جَفَّت شفتاك»[(٢)].

فيا هنيئًا للذاكرين ذكر الله لهم، ومحبته لهم، فلو لم يحبهم لما ألهمهم ذكره وأجراه على ألسنتهم.

❊❊❊

(١) صحيح البخاري (٧٤٠٥).

(٢) الدر المنثور (٢/ ٦٥).

خطط عملية قرآنية

من أراد أن تتغير حياته فعليه بالقرآن..

من أراد السعادة والتوفيق والنجاح والفلاح فعليه بالقرآن..

من أراد البركة تسري في حياته فعليه بالقرآن..

ولعلي أضع لك أخي القارئ في نهاية هذا الكتاب بعضًا من الخطط العملية القرآنية:

أولاً: كلما حدثتك نفسك بالمعصية تذكر: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

قال مجاهد: «هو الرجل يهم بالذنب فيذكر مقام ربه فينزع»[(١)].

ثانيًا: إذا زلت بك القدم ووقعت في الذنب فافتح المصحف واقرأ آيات ربك، اتبع سيئتك حسنة ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

ثالثًا: كلما تكاسلت عن وردك القرآني تذكر أن الحرف بعشر حسنات، وأن الختمة تساوي أكثر من ثلاثة ملايين حسنة.

رابعًا: إذا دعتك نفسك للبخل، وثبطك الشيطان عن الصدقة تذكر

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٥).

قول الله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨].

خامسًا: كلما زارتك المخاوف، والاضطرابات النفسية فاهرع إلى قيام الليل، فإن الله جَلَّ وَعَلَا أرشد لذلك نبيك محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حال خوفه، وقصته مع جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وحين عاد لأهله خائفا قائلا: «زملوني .. زملوني»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾ [المزمل: ١، ٢].

سادسًا: إذا مرت بك ضائقة مالية فقدم خدمات مجانية، وتذكر حين سقى موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ للفتاتين، وقدم لهما خدمةً مجانية أتته كل ما يحتاجه في الحياة: الزوجة، السكن، الوظيفة.

سابعًا: كلما تكاسلت عن فعل المعروف، تذكر قول الله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ [البقرة: ٥٨].

وقوله: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠].

ثامنًا: إذا أساء إليك أحد وعاندتك نفسك في العفو فتذكر: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢﴾ [النور: ٢٢]. فكما تغفر يُغفر لك، وكما تصفح يُصفح عنك والجزاء من جنس العمل.

تاسعًا: كلما داهمك الهم، ولازمك الغم، اهرع إلى بيتٍ من بيوت الله، وانكسر بين يدي مولاك، ومد كف الرجاء، ثم افتح كتاب ربك تاليا،

متدبرا، وسترى الصفاء يهبط والسكينة تنزل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

عاشرًا: إذا أثنى عليك المثنون، أو ذمك الذامون، فلا تغتر بمدح مادح، ولا يضرك قدح قادح، فأنت أبصر بنفسك وحالها: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤﴾ [القيامة: ١٤].

الحادية عشر: إذا كنت على خيرٍ واستقامة، ثم تشعر بأنك تغيرت إلى الأسوأ، فتثقل عليك الطاعة، من صلاة، وذكر، وقراءة قرآن، وغيرها، فاستعن بربك أولا، ثم عليك بمجاهدة نفسك للتغير، ولزوم الطاعات فـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]. وتذكر قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الثانية عشر: إذا تعلق قلبك بذنب، ولم تستطع الفكاك منه، فحافظ على صلاتك بخشوع واطمئنان، فـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وأكثر من تلاوة القرآن وسماعه، وحينها سيرتفع منسوب الإيمان لديك: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: ٢].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤]. ويقل حبك للمعصية،

وشيئا فشيئا مع الصدق مع الله ستكره الذنب وتتركه.

الثالثة عشر: إذا كثرت عليك الذنوب، وغفلت عن علام الغيوب، وضاقت عليك نفسك بما حملت، وبدأ اليأس يتسلل إلى قلبك، فتذكر قول الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

تأمل نداء الرحمن لهم: (يا عبادي).

ووصفه لهم بـــ: (أسرفوا)، ولم يقل (أذنبوا).

وفتح باب الرجاء لهم: (لا تقنطوا من رحمة الله).

ثم البشارة والوعد المفرح: (إن الله يغفر الذنوب جميعا).

وتذكر أيضا قول الله تعالى في الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١).

الرابعة عشر: افعل الخير ولا تهتم هل علم به الناس أو لم يعلموا، يكفيك علم الله به: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وأختـم كتابي هـذا بهذه القصة العجيبة والتي ذكرها الشـيخ عبد الله المنيع حفظه الله.

يقول فيها: كنت في جلسـة مع أحد إخواننا ذوي الشـفافية في التدين – علمـاني – وقد جـرى الحديث معه حول الحياة الدنيا وعمر الإنسـان فيها وكرامته وفضله عند ربه وتمييزه على سـائر المخلوقات بعقله وقوة إدراكه وسرعة ذلك منه وأن الله ميزه على مخلوقاته بأنه تعالى باشر خلق أصلـه بيـده الكريمة ونفخ فيه من روحه الشـريفة، وذكر أن حكمة خَلقه عبادة ربـه، وأن الحياة محدود ومتبوعة بحياة أبديـة الناس فيها فريقان، فريق في الجنة وفريق في السعير، خالدين في الحالين إلا ما شاء.

وذكـر أن ما قلته له محل نظر وليـس لديه ما يؤكد هذا القول ولكنه يرى أن الإنسان يجب عليه أن يحترم أخاه الإنسان وأن يعيش معه تعايشـاً سـلمياً بغض النظر عن ديانته وعن طائفته في الديانة وعن جنسـه ولونه ومكان أرضه، وأن بني الإنسـان جنس مـن المخلوقات العامة يجب أن يعيش هذا الجنس عيشة سليمة كما تعيش المخلوقات الأخرى إلى آخر ما قاله مما هو منطق الدهريين نعيش ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر.

فقد اشتد عليَّ هذا الأخ ووصفني بالرجعية والتأخر عن إدراك معنى الحياة والوجود ولكني استعرت قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما قال عن قومه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

وقلت: اللهم اهد أخي فإنه لا يعلم. قلت له: يا أخي هذا شيك بعشرة آلاف ريال في مقابل أن تقرأ كتاب الله – القرآن كاملاً – مرة واحدة بتأمل وتدبر كأنه رسالة مرسلة إليك من عزيز عليك، وأن تعاهدني على ذلك، وأن تحدد لي معك جلسة أخرى بعد انتهائك من القراءة، فأخذ الشيك وأعطاني عهدًا ألا يصرفه إلا بعد القراءة.

وبعد أسبوع اتصل بي وطلب تحديد وقت للجلسة الثانية، حيث أتم قراءة القرآن وعند الاجتماع به أعاد لي الشيك حيث لم يصرفه وأعطاني شيكًا بعشرين ألف ريال!! وقال: أما شيكك فقد كان له أثر كبير في إخراجي من الظلمات إلى النور، ومن الحيرة والشك إلى الحقيقة واليقين!!.

وأسأل الله أن يجزيك عني خير ما جازى به داعيًا إلى ربه، فقد قرأت كتاب الله وفاءً بالعهد فوجدت فيه من العظة والعِبر وأسباب حياة القلب ما قادني إلى الأمل من الله أن أكون بعد الموت من فريق الجنة وأما الشيك الآخر المسحوب مني لك فهو جزاء إنقاذك إياي من ظلمات الشك والحيرة إلى أنوار اليقين .

فقلت: يا أخي ما رأيك أن نغير الشيكين إلى شيك لصالح جمعية تحفيظ القرآن شكرًا لله على هذه النتيجة المباركة.

ثـم قال يا أخـي: والله ثم والله مـا كان مني ومن إخـواني العلمانيين من الشـك والريـب إلا نتيجة الجهـل والكِبر والتكبُّر علـى الاتجاه إلى أسـباب الهداية والرشـاد، فوالله وأنا اليوم أعرف من أحلف به ما جعلنا بهذا المسـلك الأثيم من الشـك والحيرة والارتياب، بـل قد يصل الأمر إلـى الكفـر بـالله إلا جهلنا بكتـاب الله وبعدنا عـن الأخذ بحبلـه المتين وصراطه المسـتقيم. إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء. والله المستعان.

❊❊❊

(٧) إضـــاءة

«ليتني كنت اقتصرت على القرآن»

(سفيان الثوري).

❋❋❋

«وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن».

(ابن تيمية).

❋❋❋

الفهرس

- الإهداء ٤
- مدخل ٥
- (١) إضـــاءة ٩
- حاجة الأمة إلى القرآن ١٠
- سطوة القرآن ١٢
- تأثير القرآن في الأعداء ١٣
- كاد قلبي أن يطير ١٦
- سجود بلا مقدمات ١٧
- ما الذي غير عمر! ١٩
- (٢) إضـــاءة ٢٣
- ماذا لو أقبلنا على القرآن؟ ٢٤
- قصة رحيم ٢٨
- قصة نيكولا ٣٢
- قصة أدهم النابلسي ٣٤
- مدرسة القرآن ٣٥
- رسائل من القرآن ٣٦
- (٣) إضـــاءة ٥٠
- ما هو التدبر ؟ وكيف نتدبر؟ ٥١
- الصاحب الوفي ٥٥
- القرآن يخلصك من الذنوب ٥٩

- القرآن يهذب الأخلاق ٦٠
- (٤) إضـــاءة ٦١
- بركة القرآن ٦٢
- كرم القرآن ٦٤
- يتعافى المرء بالقرآن ٦٧
- (٥) إضـــاءة ٧٣
- هو خيرٌ مما يجمعون ٧٤
- جبر القرآن ٧٦
- طريق الأمـان ٨٢
- القرآن وحياة القلب ٨٣
- يا حسرة من هجر القرآن ٨٤
- (٦) إضـــاءة ٨٧
- استوقفتني آية ٨٨
- خطط عملية قرآنية ٩٦
- (٧) إضـــاءة ١٠٣
- الفهرس ١٠٤